Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قصـــر
إشـــبيلية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــــــدرو : بعد قليل تبدأ الأزهار تفوح ، بيد أنى سأكون تحت الثرى . بعد قليل ستزهر الورود . . . ربما تكون هى الورود ذاتها التى رأتنا نصل إلى هنا منذ خمس عشرة سنة ، عندما لم يكد يتم أحد منا – نحن الاثنين – عشرين ربيعا ». . لعلها الورود ذاتها التى رافقتك إلى حيث أنت الآن : إلى هذا المكان الذى سكت فيه عن الكلام ثمانى حجج . . . سيزدهر البستان عما قليل ، لكن ليس لأجلى ؛ لأننى سأذهب باحثا عنك ، تاركا الزهور والورود إلى الضفة الأخرى من الربيع . . . فى ليون اكتشفت عينيك الواسعتين . قبلتهما لأول مرة فى ساهاجون ، وفى قرطبة أطبقتهما قائلة لى . .

مـــــاريا : إنها بُنَيَّةٌ يا بدرو . ماذا سيكون مصيرها ؟

شـــــاب : ستكون ملكة على عرش عظيم مثلك يا ماريا .

مـــــاريا : فليجعلها الله على ضرب آخر . . . لأننى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أمام الملأ لست سوى حظية الملك .

شـــاب : سيحين الأوان الذى تنصبين فيه ملكة الملك .

بـــدرو : جعلت الحرب كل شيء ضد حبنا ، أمى ، والنبلاء والمشير البوركيركى وقلق إخوتى ، النغلاء ، والجوار مع فرنسا . . . لقد زوجونى بالقوة ببلانكادى بوربون . . . كانت ابنتنا بياتريس لا تكاد تتم ثلاثة أشهر ، وكنت أحث الخطى نحو بلد الوليد والغبار – أو لم يكن الغبار – يحرق فى عينى . أما أنت فقد بقيت فى مونتلبان مع الصغيرة بين ذراعيك .

ماريا : الآن عرفت حظ حظية الملك دائما .

شـــاب : (فى ارتجافة) سيحين الأوان الذى تنصبين فيه زوجتى .

بـــدرو :كان شيئا كالمزاح . . . زوجونى ببلانكا دى بوربون . لم أقل أنا ولا أحد غيرى إننى كنت متزوجا . . كنت جبانا . كنت جبانا معك إلى حد كبير يا ماريا دى باديا . ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

اشتكيت أبدا ، لقد عرفت كيف تنتزعين البسمة من خلال الأسى . . جعلت الحرب كل شيء ضد حبنا ، إنني كنت الأول يا ماريا . . . لن يتأخر الربيع كثيرا . لكن لن يعنيني ذلك . فاليوم أودع إلى الأبد هاته الحجرات ، مخدعنا ، العارى مثل الأثاث مثل فؤادى . . . أودع هاته الغرف حيث حاولنا بالقوة أن نكون سعداء : يافعين تماما ، ووحيدين تماما . . لقد هويتك أكثر من أى شيء آخر فى هذا العالم . مثلما هويت قشتالة . . وبعد الحب ، ما يبغيه المحب هو أن يشهر حبه ، لكن لم يكن ممكنا . إن حبك وسره الذى اكتنفه كانا يعذبانني مثل قشتالة . . زوجوني بالقوة ببلانكا دى بوربون بينما كنت أقول : نعم فى عقد القران ، كنت أفكر فى عينيك . الفاجرون الكبار انريكى تراستمارا ، وفديريك رئيس الرهبانية الحربية فى شانت ياقب كانوا يبتسمون ، هذا المساء قد وقفت على السبب . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشاعر الجوال : يقول الناس دون أن يعرفوا الحقيقة .
إن الملكة حبلى
من الرئيس الحربى لرهبانية شانت ياقب
دون فديريك دى قشتالة .
وآخرون يقولون إنها نفساء .
بلانكا : آه ! من حظ الملكة السىء
أسوأ من أخريات زوجونى بالملك
لأجل كارثتى
فى ليلة زفافى
لم أر ليلة تماثلها .
بدرو : أى حقد يكنه أولئك الفاجرون ! لقد سلب منى انريكى عندما أتم خمس عشرة سنة خطيبتى الأولى . خوان مانويل فى هذا القصر وفديريك حينما كان يصحب من فرنسا الأميرة ، بلانكا هتك عرضها . . .
إننى أشكره على نحو ما : ففي اليوم الثانى من الزواج كنت بين ذراعى . . لكن سلامنا لم يتم عاما واحدا . هنا .يودع أحدنا الآخر .
ماريا : إن قشتالة تصيبنى بالسأم . لست أريد أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أظل بينك وبين قشتالة . فأمام أعين الناس بلانكا هى زوجتك .

شـــــاب : لكنك زوجتى أمام الله .

مـــــاريـا : إن الله قد حوّل عينه عنى . . . فلننفصل يابدرو، سأدع القصر : هذا الهواء ، ووخامته ، هذا العبق الدائم الذى يفوح برائحة الزهر ، وهذا الظمأ الخالد . .

شـــــاب : إننى أحبك ياماريا وأنت تحبيننى .

مـــــاريـا : الملوك لديهم مشاغل جمة . قشتالة حانقة بسببى . إنك تخيب أملها ، فارجع إليها .

شـــــاب : وأنت ؟

مـــــاريـا : سأختفى . فى دير أستوديو ثمة مكان شاغر ومن هناك سأشاهد الأرض جرداء وهو منظر كدت أنساه . . لحب كبير مثل حبنا تكفى سنتان . . (يرتجف صوتها) لقد أراد الله أن تعرف قشتالة الدم الذى تجشمته . . لا تقترب منى . . وداعا . . لا . لا تقترب شفقة وإلا فلا أقوى على المضى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وداعاً ها لن يعرف أحد أننى كنت زوجتك الحقيقية .

بـــــــــدرو : قبلت مرة أخرى تضحيتك ، لأن القسم الفاسد من قشتالة يحتم ذلك . لكن إلى بلانكا دى بوربون لن أستطيع العودة ، البوركيركى وأعداؤه الفجار تحالفوا ضدى . لقد تجمعا حول بلانكا . وكان اسمها مجرد تعلة ، ما كانوا يبغونه هو السلطة التى كنت منحتها إلي أقربائك ، مريدا بذلك كشف لعبتهم القذرة : أعلن أساقفة شلمنقة وأبيله أن زواجى ببلانكا باطل ، فاخترت زوجا أخرى هى خوانا دى كاسترو ابنة خالتى كانوا يلقبونها « الجميلة » كانت أخت إنيس دى كاسترو التى عذبت كثيرا عمى بدرو دى برتغال : إنيس كاسترو التى شابهت حياتها كثيرا حياتك أنت . . فى ذلك الشهر مايو ، ولم يكن مايو بالنسبة لى تزوجت فى كويار وعند عتبة باب الكنيسة تركت قلبى كأنه شيء زائد . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبعد بضع ساعات ، ووشيكا أنبأنى جوتيرث دى ثيبايوا أنه مسار تاريخى فى طريقه إلى تغيير ، ففى ريباد يكايا تآمر الفاجرون ، وحاجبى القديم ، وكثيرون من النبلاء والمتظاهرون بصداقتى ، وإخوة زوجتى الجديدة أنفسهم على اجتياح قشتالة وعلى خلعى ، وأولئك الذين أسديت إليهم من الفضل لكى تهدأ المملكة قد باعونى . إنهم ناسك المأسورون . وأنت مهجورة ووحيدة ، رفضك كان دون جدوى . قبض الريح أساك وندامتى . . . دون قناع يتواجه الطموح والحب ! لقد كنت الملك ، وكنت أهواك . . . تركت خوانا دى كاسترو متزوجة أو لأنها زوجة وعلى حافر الخيل مسرعا ذهبت أبحث عنك .

شـــــاب : ما يجمعه الرب لن يفرقه الإنسان . أنا وأنت إلى الأبد ، والآن سوف تدرى قشتالة – بالقوة – من الملك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بــــــــــدرو : اليوم أنا أودع القصر هذا ، لا أميز مسافاته
بدونك . عما قليل سيفوح العبق فى فراغ :
لا أنت ولا أنا سوف نحس بعبقه السكران
الخفى . . . إننى أودع اليوم المكان الذى
كنت أؤوب إليه بعد المعارك . ذلك المكان
الذى كنت تعزيننى فيه عن عداوات قشتالة ،
ذاك المكان الذى كنت تنسيننى فيه أسماء
هاتيك النساء العابرات وببسماتك كنت
تقصينهن عنى ، ياصاحبتى ماريا دى باديّا
واليوم ملولاً مكروباً ، أنثر ذكرياتى ؛ لأنها
كلها تكرب حاشا ما تشاركيننى منها . . .
ياله من نفق فظ ، ياله من نفق طويل . أنظر
فيما حولى فلا أرى سوى خيانات ، حتى
أمى خانتنى . . بكسرة من الخبزتحملها
إصبعاى كنت أستطيع أن أشبع كل رجالى
الأوفياء فى قشتالة . . آه . حزين ، حزين ،
فظيع ومحزن أن تكون ملكا لأنك ولدت
ملكا ، وأن تقيم العدالة دون أن تدرى أين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هى ، وأن تعتبر أعداء المملكة أعداء لك .
.. وأن تكابد دائما الهواجس فى أن تدع
كل شىء ، وأن تستسلم ، وأن تترك كل
شىء ، وأن يقصى عن الرأس العرش الخانق ،
أن تخلد إلى الراحة فى أحضان من تحب . .
كم هو قاس ومعتم ذلك النفق ، مصير
الكبار ، لأن عليهم أن يكونوا كبارا فوق
كل شىء ، لأن الصغار يريغون منهم تلك
العظمة . . ، خلال أعوام كثيرة كل شىء
كان مرجل غدر . . حرب فى قشتالة ،
حرب مع أراجون . قيد اسمى خارجا عن
الكنيسة ، استدعى الأجانب لحل نزاعات
عائلية . آه . حزين ، حزين . . . تراتامارا ،
العاهر يتطلع إلى عرش أسلافى ، يهدهد
راشيا النبلاء الذين يرون فىّ سوطهم لأن
سلطانى كان عليه أن ينتزعنى من عينيك
ياماريا ، وأن أحكم . . أمامى ، ليس إلا
مواطنون دون مدلول للطبقة ولا للغنى :
النبلاء والشعب : الكل سواء دون مدلول

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دينى ، مسلمون يهود ، نصارى . . .
كلهم يصنعون المملكة . . محو الامتيازات
المساواة ، المساواة ، إزاحة القناع عما
يختفى وراء الشفقة الزائفة ، والحماسة
الكاذبة . . حزين حزين . . . إننى أرغمت
سدى أن أصنع بالرحمة ما يجب صنعه
بالحديد . وأن أصل إلى النتيجة هى أننى
علىّ – فى قشتالة – أن أراوح بين الاستبداد
والفوضى . خداعات ، تزييفات شبكة من
الشكوك حول النفس ، لقد علمونى الحقد .
آه حزين حزين . عما قليل ستبث أشجار
البرتقال عبيرها بيد أنى لن أراه ، فى النهاية
سأغمض عينى عن هذا العالم الذى ما
فهمته جيدا . . .

أرجوحة من الخيانات وضعت العاهر
فديريك إلى جانبى – ظاهرياً فقط – ضد
أخيه انريكى الذى تحالفه أراجون كنا فى
هدنة ، نتكلف سعادة ما شعرت بها ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

استولى فديريك علي خوميّا باسمى ، ممزقا
بذلك الهدنة . . وكنت أنا قد شتتّ
جيوشى . . . استدعيته إلى القصر . .
كان ينبغى الانتهاء . . وفى هاته القاعة
وثقت فى حكم ابن عمى أمير أراجون . .
وأنت ياماريا ، فى هذه القاعة رأيت عينيك
الجميلتين مغرورقتين بالدموع . كنت أعبد
عينيك . . والأمير بعد عشر حجج تلقّى ما
يستحقه ، عرض أن يقتل بيديه فديريك .
. كأنه لا يوجد جنود . حزين جد حزين .
. . كنت ألعب هاته الليلة الدامة وصل
فديريك فى صحبة أخيك رئيس رهبانية
قلعة رباح المسلحة ، كان الاثنان ينكتان .
وأنا أمرت صاحب الصولجان . . .

شـــــاب : لكن يـالوبث . اقبض على رئيس الرهبانية .

لـــوبـــث : أيهما ياسيدى ، صاحب سانت ياقب أم صاحب قلعة رباح ؟

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

شــــــاب : صـــاحـب سـانـت يـاقـب ، الأخ رئـيس الرهبانية . من الحتم أن . .

بـــــــدرو : كـان فـديريك ينظر إلىّ ، فـأطلق منى ، ودافع عن نفسه ، لكن ذباب سيفه اشتبك فى دثار رهبانيته الفضفاض . .

شــــــاب : اجهزوا وانجزوا !

بـــــــدرو : كان يتفادى الطعنات ، ويتجنب الضربات ، إلى أن طرحه أرضا أحد المسددين . . كان يسمع نشيجك بينما كانت فراشة ليلية تلوب بين شظايا الخشب ، وكانت الورود فاغمة . كان الجو حارا . . وكان فديريك يتململ . . رأيت بركة دمه ، من دمى تنمو فوق المرمر .. حزين حزين دون أن أودعك لئلا أنظر فى عينيك ، ركبت فرسى ، وهجرت أشبيليه . . كانت أشجار البرتقال آنئذ تفوح . . وسوف تفوح أيضا . . لكنى سأذهب للبحث عنك وراء عرف البرتقال والزهور فى ضفة الربيع الأخرى ،

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لماذا صنعت هذا ياماريادى باديا . كنت ذات خمس وعشرين سنة فقط ، كنت رقيقة وعذبة ، كانت عيناك تضحكان قبل أن يضحك ثغرك ، كانتا تهدهدان رأسى مثل طفل صغير ، وقد نسيت الدم الذى كان ينزف من الجرح ، الأحلام الرديئة ، الكوابيس التى كانت تغمر ليالى مخاوفى . . . إنك كنت شطر روحى ، الشطر الأحب من روحى ، لماذا فعلت هذا ؟ قولى لى . ذات يوم من شهر يونيو استلقيت فى فراشك ، شاحبة ، مرتجفة . . .

ماريا : فليفتحوا الباب فالجو حار .

بدرو : كان الباب مفتوحا . .

ماريا : لا شىء يرى ، لقد اكفهر الجو بسرعة .

بدرو : كانت السماء صافية ، وشمس الظهيرة تتسلل ، وعبق الورود الفاغم .

ماريا : لا شىء يرى . . .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بـــــــدرو : كنت أنظر إلى عينيك ، عينيك الجميلتين ، كانتا طائرين أجنحتهما مفزعة .

شـــــاب : ماريا .

بـــــــدرو : لم تسمعيني .

مـــــاريـا : دائما كنت أحبك ، وإلى الأبد سأحبك .

شـــــاب : لا . من الضرورى أن يعرف الجميع أنك زوجتى . انتظرى ، لا . من الحتم أن تعرف قشتالة من هى ملكتها .. اسمعوا اسمعوا . مــاريا دى باديا هى ملكتكم ، وابنهــا ألفونسو هو ولى العهد ، وبناتها هن أميرات قشتالة . . (فى نشيج) ماريا هى ملكتكم ...

بـــــــدرو : لم تسمعنى أبدا ماريا دى باديا ، كنت ميتة ، لماذا صنعت هذا ، لماذا ؟ لقد جمعت مجالس عامة لأعلن فى جلال أمام الدول الثلاث أن زوجتى الوحيدة كنت أنت ، وناديت شهود العقد الشرعى أن يذكروا أننى اقترنت بك .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبايع مجلس البلاط ابنك – ولم يكن أتم عامين – وليا شرعيا لعرش قشتالة . . لم تكونى أمام أحد حظية الملك كان اسمك مكتوبا فى القائمة المذهبة للملكات ، وابنتك بياتريس ستكون أيضا ملكة على عرش عظيم ، هل تذكرين ؟ من البرتغال : أمرت أن يحضروا جسدك فى موكب وأن يكون القداس مما يكون للعاهلات دفنت فى مقبرة الملوك فى الكنيسة الكبرى ، وأدى كاهن طليطلة طقوس جنازتك ، وقد جثا النبلاء أمامك . . متأخرا ، متأخرا ، جد متأخر . آه ، متأخرا جدا . . منذ وفاتك ، وكل شيء ردئ : كأنك لا تريدين قبول التكريم . . . حرب مع أراجون . حرب مع الفاجر ، دم ، مرة أخرى دم ، موت ولدنا ، لماذا ؟ لم تقبلى أن تدعيه فى قشتالة . . . والبرتغال ، عادت بياتريس عازبة حين رأت كوارث جمة .

إننى وحيد ياماريا ، لقد تركونى وحيدا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تماما ، احتل انريكى تراتامارا مملكتى .
لوجرونيو ، سالفاتيرا ، بيتوريا ، واضح أننى
لا أستطيع الدفاع عنها ، ويطلبون منى أن
أسلم نابارًا ، لقد أعطيت أوامرى – فى
حالة الاضطرار إلى الاستسلام – أن
يسلموها إلى الفاجر : قشتاله ، ليكن من
يكون ملكها – لا يجب أن تتشعث . .

اليوم أودع إلى الأبد هاته الغرف . . .
ولتبق بناتنا محصنات فى قرمونة ، وأبنائى
الذين رغبت فيهم ، لأرى إذا ما كانت
الحياة متمسكة بى بعد أن رحلت أنت
سأرحل إلى طليطلة إلى معركتى الأخيرة ،
أدرى أننى سأموت لكن هذا لا يعنينى ،
أدرى أن أخى انريكى سيقتلنى ، وسيقبض
على عنان قشتاله ، حسنا ، حسنا ، حسنا
إننى مجهد : ورجل مجهد لن يكون على
الإطلاق ملكا صالحا . . أفكر فى أن
السيف يشحذ لأصرع هنا . مرحبا ، وأهلا ،
دم بدم ، وراحة فيما بعد ؛ هذا كل ما

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أبغيه . . أطأ هاته الرخامات التى شاهدتنى معك ، أبارك هاته البلاطات ، وتلك الفنون . أبارك شمس فبراير . . أدع حبى هنا ، حيث عما قليل – ودون خلاف – تشرع أشجار البرتقال تفغم . . وداعا ، أيها القصر حيث استقرت فيه حياتى – فى عذوبة – ، أيتها الأبعاد التى سمعتنى أضحك ، أيتها المياه ، الفوارة ، الرقيقة ، أيتها الأشجار الأشجار العوالى التي ستظل تورق زمنا طويلا . بعد قرون حين يجىء أناس آخرون يزورون هذا القصر ، يعرفون قصة حبى الحزينة . . وداعا ، أيتها الجدران التى ضمتنى منذ أن كنت طفلا مثل طائر يتيم . . . إلى اللقاء الوشيك ياماريا دى باديا ، يا رفيقتى ، إلى اللقاء الوشيك جدا ، لأننى سأبحث عنك – فى عنف – بأسنانى وأظفارى ، بشهوات رجل حديث الزواج ، فى أى مكان تكونين فيـه ، تحت زهور البرتقال ، وتحت الورود ، فى الضفة الأخرى من الربيع .